



مشكلة الإختيار

الإنسان وحيث ألم يسير
بين الحقيقة والرأي ودكتسية والمعتقد الآخرى



وكسر
موريس تاوضروس

أستاذ العهد الجديد بكلية الأكاديميكية
ومعهد الدراسات التطبيقية بالقاهرة

مشكلة الإختيار

الإنسان مُخَيَّر أم مُسَيَّر

(بين العقيدة الأرثوذكسيَّة والعقائد الأخرى)

الطبعة الرابعة

للدكتور / موديس تاوضروس

أستاذ علم لاهوت العهد الجديد

بالكلية الإكليريكية

ومعهد الدراسات القبطية بالقاهرة



بدرة
أنطون بنيامين

قداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مشكلة الإختيار^(١)

من المشاكل اللاهوتية الأساسية التي ارتبطت بالصلة بين ما هو أزلى وما هو زمنى "مشكلة الإختيار" ونناقش الآن هذه المشكلة فى ضوء المقارنة بين الفكر اللاهوتى الإنجيلى ، والفكر اللاهوتى الكاثوليكى والفكر اللاهوتى الأرثوذكسي .

+ أولاً : الفكر اللاهوتى الإنجيلى :

+ إن الله منذ الأزل حسب رأى مشيئته الكلية الحكمة والقداسة ، قضى كل ما يحدث قضاء إختيارياً عديم التغيير . وهو يشمل كل ما وقع وكل ما سيقع من الحوادث مع أسبابها وبشروطها ومتصلقاتها ونتائجها ، وهو يجعلها محقيقة الحدوث لأن الله قصد أن تكون كذلك . وهو قضاء واحد أزلى .

+ قضاء الله السابق هو تعينه كل ما يحدث في كل زمان على الإطلاق ، وهو يختص بمشيئته تعالى . وعلمه السابق هو معرفته منذ الأزل كل ما يحدث في كل زمان على الإطلاق ، وهو يختص بعقل الله الغير محدود . فالقضاء السابق يجعل الحوادث محقيقة الوجود ، والعلم السابق يراها محقيقة الوجود ، وهو مبني على القضاء السابق فيعلم الله الحوادث لأنها قضى بحوثها .

١- تستند في حديثنا عن مشكلة الإختيار في الفكر اللاهوتى الإنجيلى إلى كتاب " علم اللاهوت النظمي " بباب الثامن - " في قضاء الله " إصدار دار " الثقافة المسيحية "

+ إن كل الحوادث التي وقعت والتي ستفعل كانت لدى عقل الله منذ الأزل ، وأنه قضى في الأزل ما حدث منذ بدء الزمان إلى الآن وما هو حادث تحت النظام الحاضر بكل تغيراته وما سيحدث للأبد . وإن سبب حدوث أمر في وقت ما هو لأن ذلك الوقت هو المعين له في قضاء الله . وقضاء الله واحد لا أقضية كثيرة ولا مبدوعة من وقت إلى آخر حسب مقتضيات الأحوال . والحوادث المختلفة التي لا تحصى هي أقسام قصد واحد عام أزلی .

+ إن قضاء الله حر أي اختياري ومستقل ومطلق ، أي ليس له علة سوى مشيئته تعالى ، دون أن يضطره إليه سبب خارجي ولا يتوقف على أمر آخر . إن جميع مقاصد الله التي ما كان منها في شأن خلاص البشر ناشئة عن رأي مشيئته ، فإنه يرحم من يشاء ويخلصنا ليس بأعمالنا بل بنعمته ، وأنه اختارنا للخلاص حسب مشيئته المطلقة . قضاء الله لا يتوقف على أعمال البشر ولا على أسباب طبيعية ، ولكن يحيط بها بمعنى أنها داخلة فيه من قبيل كونها وسانط وآلات لإتمامه ولا يليق أن تنسب إلى الله القضاء المقيد .

+ إن الله قضى أعمال الناس الإختيارية منذ الأزل . إن توارييخ العالم هي مظاهر قضاء الله . إن حسد إخوة يوسف له وبيعهم إيه وحبسه ظلماً في مصر ، كانت جزءاً من النظام الذي رتبه الله . وما يصدق على تاريخ يوسف يصدق على كل التوارييخ ، أي أن كلها إظهار القصد الأزلی على التوالی .

+ الذين اعتضوا على القضاء المطلق العديم التغير بأنه يلاشى حرية الإرادة ، بنوا اعتراضهم على إعتقداد فاسد في ماهية الحرية وشروطها . وفي ذلك قولان : أحدهما أن حرية الإرادة تقوم بحرية الفاعل أن يختار وي العمل ما شاء بحيث أنه وإن وجدت فيه ميول شديدة تسوق إرادته إلى ما اختاره فلا يزال حراً ما لم تضطره قوة خارجية إلى عمل عكس ذلك . وثانيهما : أن الحرية إنما تقوم بامتلاك ذى الإرادة قدرة تامة في وقت واحد على عمل شئ وضده ، أى أن يكون له قدرة أن يضاد الميول الغالبة فيه وي العمل عكسها . وقد صادق اللاهوتيون المتمسكون بالنظام الكلفينى على أول هذين القولين بمعنى أن إرادة كل إنسان توافق دائمًا ما فيه من الميول والرغائب المتغلبة على غيرها في وقت اختياره . ولذلك إذا عرفنا الشخص ورغائبه المتغلبة فيه تحققت ما يختاره مadam حراً في اختياره . ولما كان الله قد عرف منذ الأزل ما يكون في قلب كل إنسان في كل حين من الميول والرغائب وكل ظروف حياته من بدايتها إلى نهايتها ثبتت عنده تعالى جميع أعمال الإنسان الحرة طول حياته . فالتفكير اللاهوتى الإنجيلى يرفض تعريف الحرية بأنها تقوم بامتلاك ذى الإختيار القدرة والفرصة لعمل ما اختاره .

+ قيل في إقرار الإيمان " الوستمنستری " : لأجل إظهار مجده (الله) قضى سابقاً على بعض الناس والملائكة بالحياة الأبدية ، وأخرين بتعينهم سابقاً للموت الأبدى .

هؤلاء الناس والملائكة المقضى عليهم سابقاً ، والمعينون سابقاً
هم مقصودون خصوصيون لا يتغيرون ، وعدهم معلوم محدود بحيث
لا يزداد ولا ينقص .

إن الذين من البشر قد تعينوا للحياة ، انتخبهم الله قبل تأسيس العالم
حسب قصده الأزلية العديم التغيير ومشورة مشيئته السرية وحسن إرادتها
، أى انتخبهم بال المسيح المجد الأبدي من قبل مجرد نعمته ومحبته بدون
أن يرى سابقاً إيماناً أو عملاً صالحة أو استمراراً أو شيئاً آخر في
المخلوق تعد شروطاً أو أسباباً حركته إلى ذلك ، وكل ذلك لحمد نعمته
المجيدة .

كما أن الله عين المنتخبين للمجد ، هكذا يقصد إرادته الأزلية الكلية
الحرية قد سبق فعين كل الوساطة لذلك ، فمن ثم الذين قد انتخبو ، إذ
سقطوا في آدم ، افتدوا باليسوع ودعوا دعوة كافية إلى الإيمان باليسوع
بواسطة روحه ، فاعلاً في الوقت المناسب ، فتبرروا وتبنيوا وتقدسوا
وحرسوا بقوته بالإيمان للخلاص . ولم يُفتد باليسوع ولا دعوا دعوة
كافية ولا تبرر وتبني ولا تقدس ولا تخلص غير المنتخبين فقط . أما من
جهة سائر البشر فقد شاء الله حسب رأى مشيئته الذي لا يفحص ، الذي
يموجبه يرحم أو يمنع الرحمة لأجل مجد سلطاته المطلق على خلائقه ،
أن يفوتهم وأن يعيدهم للإهانة والسخط لأجل خطويتهم ولحمد عدله
المجيد .

وُقِيلَ فِي كِتَابٍ "أَصْوَلُ الْإِيمَانِ" إِنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ بِمُجْرِدِ مُسْرَتِهِ قَدْ اخْتَارَ مِنْذِ الْأَزْلِ بَعْضًا لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، عَقَدَ عَهْدَ نِعْمَةً لِيُنْقَذُهُمْ مِنْ حَالِ الْخَطَّيْفَةِ وَالشَّقاوَةِ وَيُدْخِلُهُمْ إِلَى حَالِ الْخَلاصِ بِوَاسْطَةِ فَادِ لَهُمْ.

وُقِيلَ فِي عَقَائِدِ الدِّينِ لِكُنْيَسَةِ إنْجِلْتَرَا: التَّعْبِينُ السَّابِقُ لِلْحَيَاةِ هُوَ قَصْدُ اللَّهِ الْأَزْلِيِّ الَّذِي قَضَى عَلَى الدَّوْلَةِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ أَنْ يُنْقَذَ مِنَ الْلَّعْنَةِ وَالْبَيْنَوَةِ الَّذِينِ سَبَقَ فَاخْتَارَهُمْ فِي الْمَسِيحِ مِنَ الْبَشَرِ وَأَنْ يَبْلُغُهُمْ بِهِ الْخَلاصُ الْأَبَدِيِّ.

الرَّذْلُ فِي عِلْمِ الْلَّاهُوتِ هُوَ مَا يَقْبَلُ الْإِخْتِيَارَ . وَيَعْبُرُ عَنِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ بِالْمُخْتَارِينَ ، وَعَنِ الَّذِينَ يَهْلُكُونَ بِالْمُرْذُولِينَ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصُدْ خَلَاصَهُمْ أَيْ أَنَّهُ قَضَى تَرْكُهُمْ لَا خَلَاصَهُمْ . إِنَّ مَصْدَرَ الْإِخْتِيَارِ وَالرَّذْلُ هُوَ إِرَادَةُ اللَّهِ . إِنَّ الْإِخْتِيَارَ غَيْرَ مَبْنَى عَلَى خَيْرٍ فَيْنَا عَرَفْتُ سَابِقًا ، كَذَلِكَ الرَّذْلُ غَيْرَ مَبْنَى عَلَى شَرٍ فَيْنَا عَرَفْتُ سَابِقًا .

ثَانِيًّا: الْفَكْرُ الْلَّاهُوتِيُّ الْكَاثُولِيَّكِيُّ :

لَيْسَ فِي الْكِتَابِ الْمُقْدَسِ مِذَهَبٌ مُتَصَلٌ عَنْ قَضَاءِ اللَّهِ الْأَزْلِيِّ ، وَلَكِنْ بِولِسْ قَدْ جَعَلَ مِنَ الْعَمَلِ الإِلَهِيِّ عَنْصِرًا هَامًا مِنْ عَنَصِيرِ فَهِمِهِ لِتَدْبِيرِ اللَّهِ . يَرِيدُ بِولِسْ فِي آخِرِ عَرْضِهِ النَّبَوِيِّ عَنْ تَدْبِيرِ اللَّهِ (رَوِيَ ١ إِلَى ٨) أَنْ يَثْبِتَ رَجَاءَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيُكَشِّفُ لَهُمْ حِكْمَةَ اللَّهِ السُّرِّيَّةِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي قَدِرَهَا اللَّهُ لَنَا قَبْلَ الدَّهُورِ فِي سَبِيلِ مجْدِنَا (١ كِوْ ٢ : ٧) .. إِنَّ اللَّهَ يُسْخِرُ كُلَّ شَيْءٍ لِخَيْرِ الَّذِينَ يَحْبُّونَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ دَعَوا بِسَابِقِ تَدْبِيرِهِ فَالَّذِينَ عَرَفُوهُمْ بِسَابِقِ عِلْمِهِ أَعْدُوهُمْ قَدِيمًا لَأَنْ يَكُونُوا عَلَى مَثَلِ صُورَةِ إِيْنَهِ

ليكون هذا بكرأً لإخوة كثرين " (رو ٨ : ٢٨ ، ٢٩) . ففى تدبیر الله الشامل يميز بولس إذن جاتبين : يعرف بسابق علمه ، ويعد بسابق اختياره ، ولا يجوز الخلط بينهما .

١ - (أ) فبحسب مفهوم الكتاب المقدس ، تقوم المعرفة لا على فعل عقلى ، بل على العلاقة الواقعية بين كائنين . ففى فكر الله ، تقوم من قبل الخلق علاقة محبة بينه وبين بعض الناس " إن الله يعرفهم " ١ كو ٨ : ٣ ، غلا ٤ : ٩ ، (راجع متى ٧ : ٢٣) . ويمكننا أن نقيم تعادلاً بين هذا العلم الأزلى والإختيار " وهم الذين إصطفاهم منذ البدء " (٢ تس ٢ : ١٣) ، و " الذين اختارهم الله الآب بسابق علمه " (١ بط ١ : ٢) . فيرجع أصل قضاء الله الأزلى إلى هذا العلم السابق أو هذا الإختيار .

(ب) لكن الجانب الثانى لتدبیر الله هو أن إختيار الله يتم من أجل هدف ، من أجل غاية معينة . وإذا كانت هذه الغاية نفسها موضوعة منذ البدء ، يمكننا أن نعتبرها " قضاء سابقاً " ولكن لا يمكننا أن نفهم هذه الغاية بالرجوع إلى الأصل ، إلا لكوننا نعرف الآن آخر الأزمنة ، حيث استحقت لنا الذبيحة الفدائیة المصالحة والتبنى مع الله حين " قضى لنا بسابق تدبیره أن يتبنانا بيسوع المسيح على ما إرتضته مشيئته " (أف ١ : ٥) .

٢ - أعد الله المختارين مع المحافظة على حریتهم : كانت المشكلة التي تعرض لها بولس الرسول لا تتعلق بالأفراد ، ولكن بكل الشعب

الإسرائىلى الذى كان يرفض المسيح . و ميئز بولس بين فتنين فى البشرية : بين المختارين والآخرين . على أنه لا يضعهما على نفس المستوى فى خطة الله . فيبنتما المختارون قد " أعدهم للجد بسابق إعداده " (رو ٩ : ٢٣) فالآخرون قد وجدتهم فقط " آنية غضب " فاحتلتم بصير عظيم (رو ٩ : ٢٢) ، إذ الله لا يعد للهلاك بسابق تنبيره .

+ نحن نفكر فى الأفراد بينما هو ينظر إلى إسرائيل . إن أشخاص التاريخ المقدس - (عيسو أو فرعون) (رو ١٣ : ٩ ، ١٧) - هم فى نظره نماذج لا يعرض لمسألة خلاصهم الشخصى . فهو هنا لا يحل مشكلة العلاقة بين العملين ، العمل الإلهى والعمل الإنسانى ، ولكنه يضع المبادى الأولى لحلها فى الأسلوب الهدائى الذى يؤكد به كلا العملين دون أن يرى تعارضًا بينهما .

+ كل شئ يحدث إذن على الأرض ، وكأن الحرية البشرية تكمن فى أن تتحقق فى الزمان ما قدره الله الأزلى . هذا هو التصور الرئيسي للوحى ، الذى ينبغى للعقلية العصرية ألا تخلط بينه وبين الجبرية ، متى ما تبيّنت فى الله أسبقيّة المحبة .

+ نجد فى الأنجليل أساساً تؤيد فكر بولس الرسول فى هذا المضمار ، وهذا يتضح فى اسلوب أكثر صراحة ، عند القديس يوحنا الذى يعلن أن الآب هو الذى يهب المؤمنين للابن (يو ١٠ : ٢٩ ، ٢ : ١٧ ، ٦ ، ٩ ، ٢٤) " ما من أحد يستطيع المجئ إلى ، إلا الذى إجتنبه الآب الذى

أرسلنى * (يو ٦ : ٤٤) . فنجد هنا مشكلة القضاة السابق منطبقة على الأفراد وليس على الشعوب فقط . فيدخل المؤمن عالماً جديداً يحيط به ويكتفه من كل جانب . وما من أحد يمكنه أن يتخلص من إنطباع الحرية ، إلا الذى يتحقق من أسبقية المحبة الشاملة التى يكنها الله للعالم منذ البدء " (يو ٣ : ١٢ ، ١٧ : ٤٧) .

+ لا بد من تخطى صعوبتين كبيرتين :

الصعبية الأولى : وهى خارجية طارئة ، من أنه يتغذى علينا أن نتصور مشكلة القضاة الأزلى على أنها تتعلق أولاً بالشعب لا بالأفراد . وهكذا أثارت كلمات بولس الرسول الشديدة فى رسالته إلى أهل رومية أخطاء عديدة ، بل أدت أحياناً إلى اليأس ، فجعلت البعض يفكرون بحسب عبارة القيس أغسطينوس المؤسفة " أنه مقدر لهم الهلاك الأبدى " .

الصعبية الثانية : وهى أكثر عمقاً ، هي أننا كثيراً ما ننسى أن اسلوب الكتاب المقدس يستعمل للتعبير عن إختبار بيني ، الألفاظ الدالة على صفاتي المكان والزمان ، مما ينسب إلى الله تصرفات بشرية . والمعروف أنه لو نقلنا هذا الأسلوب وأقمنا منه مذهباً ميتافيزيقياً لأضفيتها الطابع الأزلى على ما هو أساس زمني .

وفي قولنا : " إن الله يعد أزلياً المختارين ليكونوا أبناءه بالتبني ، يستعمل تعبيراً بشرياً ، ولا نعني به التأكيد أن الله مرتبط بالأساليب الأدبية التى تتطبق على الوضع الإنسانى فقط ، والتى تحاول التعبير عن

ممارسة حريتها . وهكذا إذا نظرنا إلى محبة الله الأزلية من خلال طابعنا الزمني لابد أن تبدو على أنها "قضاء سابق أزلي" يصل إلى حد رذل أولئك الذين لم يقدر اختيارهم ، ولكن هذا ليس إلا صورة من صور التعبير ونقلًا على مستوى المكان والزمان لحقيقة لا تخضع لأيهما .

وأما هذه الإعتبارات ، فإن لفظة "سابق" التي نستعملها غالباً في تعبياراتنا بشأن هذه المشكلة المطروحة (على نمط اختيار سابق ، وعلم سابق ، ورؤية سابقة ، ومعرفة سابقة ، ومحبة سابقة ...) لا تدل إلا على إتجاه الإنسان للتعبير عن أن المبادرة لا تصدر عنه بل عن الله ، وإذا تحول الأسلوب الزمني إلى علاقات شخصية تكون قد بلغنا إلى معناها الحقيقي الذي عبر عنه يوحنا أحسن تعبير بقوله : " أما نحن فعلينا أن نحب ، لأن حب الله لنا سابق لحبنا " (١ يو : ١٩) .

ثالثاً : الفكر اللاهوتي الأرثوذكسي :

وفي ضوء الفهم اللاهوتي الأرثوذكسي نعالج الآن المشكلة :

مشكلة الاختيار هي مشكلة الإرادة البشرية ومدى حريتها إزاء الإرادة الإلهية .

هل الإنسان مخير في تصرفه ؟ أم هو مسير يستجيب دون إرادة ودون حرية لقضاء الله وقدره المحتمل الذي لا خيار للإنسان فيه ؟

وفي الكتاب المقدس آيات يتخذها البعض أساساً للإعتقد بالجبرية والإلزام ، بينما أن هناك آيات أخرى تكشف في جلاء ووضوح عما

يتمتع به الإنسان من حرية تجعله قادرًا على الاختيار بين الخير والشر
والصالح والطالع .

وأنقسم اللاهوتيون إلى فريقين في معالجة هذه المشكلة :

+ فريق يقول بالحتمية ويرى أن كل ما يحدث في الكون يتم بإرادة الله المطلقة حسب مسرته ومشيئته ، ويعبر القديس أوغسطينوس عن هذا الرأي بقوله : " إن قضاء الله من جهة اختيار الإنسان وتركه مبني على مجرد مسراة الله وإرادته المستقلة المطلقة لأسباب مجهولة عند البشر ومعلومة عنده تعالى . أى أن جل شأنه ليس مقيداً بشرط لقضائه الأزلى بالخلاص بل يفعل ذلك بحسب قصده ورأي مشيئته (أف ١ : ٤) . وأن ما يرى من المختارين من صلاح فهو نتيجة الإختيار ، وليس الإختيار نتائجه .

ويأخذ الفكر اللاهوتي البروتستانتي بهذا الرأي وفي هذا يقولون :

إن الذين من البشر قد تعينوا الحياة بانتخابهم الله قبل تأسيس العالم حسب قصده الأزلى العظيم التغير . ومشورة مشيئته السرية وحسن إرادتها ، أى بانتخابهم بال المسيح لل Mage الأبدى من قيل مجرد نعمته ومحبته بدون أن يرى سابقاً ليemanأ أو أعمالاً صالحة أو يستمراراً أو شيئاً آخر من المخلوق تعد شروطاً أو أسباباً حركته إلى ذلك . وكل ذلك لحمد نعمته المجيدة . أما من جهة سائر البشر ، فقد شاء الله حسب رأي مشيئته الذى لا يفحص ، الذى بموجبه يرحم أو يمنع الرحمة لأجل مجد

سلطانه المطلق على خلقه (علم اللاهوت للإيغومانس ميخائيل مينا -
المجلد الثالث ص ١٠٣ ، ١٠٤)

ويدعم أصحاب هذا الرأي إتجاههم ببعض الآيات الكتابية على النحو التالي : " قد حلف رب الجنود قائلًا : كما قصت بصير وكما نویت يثبت .. هذا هو القضاء المقضى به على كل الأرض ، وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم ، فإنه رب الجنود قد قضى فمن يبطل ويده هي الممدودة فمن يردها " (إش ١٤ : ٢٤ - ٢٧) .

" مصور النور وخلق الظلمة ، صانع السلام وخلق الشر . أنا
الرب صانع كل هذه " (إش ٤٥ : ٧) .

" هؤلا يهدم فلا يبني . يغلق على إنسان فلا يفتح " (أيوب ١٢ : ١٤)

+ وأما الرأى الثانى : فيقيم وزناً للعمل الإنساني ، وبينى نوعية الإختيار على تصرفات الإنسان ومسلكه ، أى أن الله يتعامل مع البشر . وفقاً لحالهم من الخير أو الشر ، وهى معروفة لدى الله وفقاً لعلمه السابق . وعلى هذا النحو فإن أصحاب هذا الرأى يؤكدون الحرية الإنسانية التي على أساسها يتم الإختيار . وهم يدعون رأيهم ببعض الآيات على النحو التالى :

" يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تریدوا . هؤلا بيئكم يترك لكم خراباً " (مت ٢٣ : ٣٧) .

" لا يقل أحد إذا جُرب أنى أُجرب من قبل الله ، لأن الله غير مُجرب بالشُّرور وهو لا يُجرب أحداً . ولكن كل واحد يُجرب إذا اتَّجذب وإنخدع من شهوته " (يع ١ : ١٣ ، ١٤) .

" فإِنْ أَعْيُنْكُمْ لِلصِّيفِ وَتَجْثُونَ كُلَّكُمْ لِلنَّبِحِ لَأَنِّي دَعَوْتُ فَلَمْ تَجْبِسُواْ ، تَكَلَّمْتُ فَلَمْ تَسْمَعُواْ ، بَلْ عَمِلْتُ الشَّرَ فِي عِينِي وَإِخْرَتُمْ مَا لَمْ أَسْرِ بِهِ " (إِش ٦٥ : ٦٢) .

" إِنْ شَنْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الْأَرْضِ ، وَإِنْ أَبْيَتُمْ وَتَمْرِدْتُمْ تَأْكُلُونَ بِالصِّيفِ لَأَنْ فِيمِ الرَّبِّ تَكَلَّمْ " (إِش ١ : ١٩) .

" وَإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُواْ الرَّبَّ فَاخْتَارُواْ لِأَنْفُسِكُمُ الْيَوْمَ مِنْ تَعْبُدُونَ " (يَشُوعَ ٢٤ : ١٥) .

" فَقَالَ الرَّبُّ لِقَائِمِينَ لِمَاذَا إِعْنَطَتْ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ : إِنْ أَحْسَنْتَ أَفْلَا أَرْفَعَ ، وَإِنْ لَمْ تَحْسِنْ فَعَنَدَ الْبَابِ خَطْلَيَةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ إِشْتِيقَاهَا وَأَنْتَ تَسْوُدُ عَلَيْهَا " (تَك ٤ : ٦ ، ٧) .

+ والآن لنحاول أن نقدم الحل المناسب لمشكلة الإختيار ، في ضوء الأصحاح التاسع من الرسالة إلى رومية ، حيث تبدو المشكلة واضحة من خلال تعبيرات الرسول بولس :

بدأ الرسول حديثه عن مشكلة الإختيار ، بالتفرقة الواضحة التي أقامها بولس الرسول بين " أَوْلَادُ الْجَسْدِ " و " أَوْلَادُ الْمَوْعِدِ " (رو ٩ : ٨) ، وقدم الرسول أمثلة عن الذين ولدوا حسب الموعد . فقد ولدت سارة حسب كلمة الموعد ، وكذلك الأمر بالنسبة لرفقة ، فقد اختارت كلمة

الموعد من الله ليكون لها نسل من إسحاق أبينا " لأنه وهم لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً ، لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ، ليس من الأعمال بل من الذى يدعوه ، قيل لها أن الكبير يستعبد للصغير ، كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو " (رو ٩ : ١١ - ١٣) .

ويبدو واضحاً لأول وهلة أن قصد الله يقوم أساساً على التعريين السابق ، وكما لو كان لا يستند إلى أمر يتصل بالإنسان فله مطلق الحرية في أن يختار ويرفض من يرفض . ويبدو كما لو أنه يؤكد أن اختيار الله ليعقوب كان متحرراً من الارتباط بإستحقاقه ، وأن الأمر يرد أصلاً إلى حرية الله المطلقة التي بموجبها يمكن أن يرفض من يرفض ، وأن يختار من يختار .

ويشير الرسول بولس في معرض حديثه عن يعقوب، وعيسو إلى ملخى النبي (رو ٩ : ١٣) الذي قال بشأن هذا الأمر " أحببكم قال رب وقلتم بما أحببتنا . أليس عيسو أخي ليعقوب يقول رب ، وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو وجعلت جباره خراباً وميراثه لذئاب البرية ، لأن آدم قال قد هدمنا فنعود ونبني الخرب . هكذا قال رب الجنود هم يبنون وأنا اهدم ويدعونهم تخوم الشر والشعب الذي غضب عليه رب إلى الأبد ، فترى أعينكم وتقولون ليتعظم رب من عند تخم إسرائيل " (ملا ١ : ١ - ٥) ، ومعنى هذا أن مواعيد الله وعهوده الخاصة بيعقوب وعيسو قد تحققت في التاريخ المقدس وتأيدت بأحداثه .

والسؤال هنا : هل تم هذا في صورة محاباة الرب ليعقوب ، وهل بسبب المحاباة صارت أحداث التاريخ تبرز يعقوب عن عيسو ؟ أليس

من الأصح أن يقال إن ملاخي النبي قد وجد في أحداث التاريخ ما يعلل به ويؤكد ما سبق وذكره سفر التكوين عن تفضيل يعقوب عن عيسو ، أى أن محبة الله ليعقوب وبغضه لعيسو ، كل ذلك يتم في عدالة ودون محاباة . على هذا النحو نظر الرسول بولس لأحداث التاريخ ، وأنكر أن يكون الله قد تصرف بظلم نحو عيسو ، فقال : " فماذا نقول ، أعلم عند الله ظلماً . حاشا " (رو ٩ : ١٤) .

على أننا يجب أن نلاحظ أن هذا المسلك الذي سلكه الله نحو يعقوب وعيسو سلكه دائمًا مع شعبه ، وهذا يتضح من موضع آخر في حديث الرسول بولس ، حيث يشار إلى أنه يتصرف مع الشعب حسب مشيئته وحسب إرادته لأنّه يقول لموسى : " أني أرحم من أرحم ، وأتراءف على من أتراءف . فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، بل الله الذي يرحم " (رو ٩ : ١٥ ، ١٦) .

وهذا أيضاً نعيد نفس التساؤل السابق : هل يمكن أن نتصور أن الله يتصرف بالمحاباة وبذلك لا تقوم معاملته للبشر على أساس من العدالة ؟

إذاً قال الله " أتراءف على من أتراءف " فهل يمكن أن نتصور أن الله يتراطف على من لا يستحق الرأفة ؟ ، وإذا قال الله " أرحم من أرحم " فهل يمكن أن نتصور أن الله يرحم من لا يستحق الرحمة ، ولا يرحم من يستحق الرحمة ؟ ويفسر بعض اللاهوتيين هذه الآية على النحو التالي :

+ قد يتوجه الذين ينظرون إلى هذا النص نظرة سطحية أن الله جل شأنه يرحم بعض مخلوقاته ويقص على بعضهم بلا علة كافية ، غير أن

ذلك ليس المقصود من هذا النص الذى لو عرفنا علة وضعه الصحيحة لمسهل علينا فهمه وإدراكه . أما تلك العلة فهى حادثة العجل الذى عبده بنو إسرائيل ، وعلى اثرها هلك بعضهم ونجا البعض الآخر . وتنتزيعها الله من الجور فى معاملته الشعب بتلك المعاملة التى يسببها فاز برحمته فريق منهم دون الآخر ، قال لعبدة موسى : بما أنك لست بعارف من هم المستحقون الرحمة والذين لا يستحقونها ، لأن ذلك يستدعي كشف القلوب والضمائر ، وأنتم لكم المعلمات والظواهر : فدعنى أنا أرحم من يستحق الرحمة ، وأقضى من يستحق القصاص لأن ذلك من حقوقى التى لا يشاركتنى فيها آخر . (علم اللاهوت - المجلد الثالث ص ٨١ ، ٨٢)

إننا يجب أن نفهم اختيار الله ، لا على أنه سلطة يتتوفر فيها العامل الإلهي فقط دون اعتبار للعامل الإنساني . فإن الله يبني حكمه على البشر حسب تصرفاتهم وأعمالهم . وإذا قال الرسول : " فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، بل الله الذى يرحم " فإن ذلك لا يعني أن الله لا يقيم هنا وزناً للمشيئة الإنسانية أو للسعى الإنساني . وتذكرنا هذه العبارة بعبارة شبيهة نطق بها الرسول يوحنا في رسالته الأولى إلى كورنثوس وهو يتحدث عن عمل الخادم في الخدمة فيقول :

" إذن ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى " (١ كور ٣ : ٧) فهل يفهم من هذه الآية أن الله ألغى عمل الغارس أو عمل الساقى ؟ وهل من الممكن للزرع أن ينمو دون أن يكون هناك من يؤدى عملية الغرس أو يقوم بعمل الغارس ؟ وكذلك لا يكفى فقط عمل الساقى ، بل

يستلزم الأمر قوة النمو التي هي من قبل الله . وهكذا فإن الأمر يحتاج إلى تعاون كل هذه العوامل : قوة النمو - الغرس - السقى . أما قوة النمو فهي من قبل الله ، وأما الغرس والسقى فهما من قبل الإنسان . وهذا أيضاً يحدث بالنسبة لخلاص الإنسان ونعمته . فإذا كان الأمر حقاً لا يكفي فيه السعى والمشيئة من قبل الإنسان لأن الأمر يتوقف على رحمة الله ، لكن ليس معنى ذلك أننا هنا نلغى قيمة هذا السعى ولنلغي قيمة هذه المشيئة ، بل بدون هذه المشيئة وهذا السعى لا تتم رحمة الله ، كما أنه بدون الغرس والسقى لا تتم عملية النمو فلا يوجد إذن في هذه الآية ما يؤيد الفهم الخاطئ لعمل النعمة الإلهية والذي يموج به يذكر البعض قيمة العامل الإنساني ويؤكد فقط العالم الإلهي (أنظر كتاب "لك يا بنى " لصاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث ص ١٧ ، ١٨)

إننا يجب أن نلاحظ أن إرادة الله ومشيئته لا تتعارضان مع صفات الله التي منها العدالة والبر والصلاح ، ومثل هذه الصفات تتفق أن ينسب إلى الله أى ظلم في تصرفه أو أى حكم تعسفي لا يبني على الحق .

على أن تفهم "مشكلة الإختيار" عند الرسول بولس يصبح سهلاً ميسوراً إذا أمكننا أن نقف على الدوافع وراء هذه العبارات التي استعملها الرسول ، والتي يبدو فيها كمن لا يقيم وزناً على الإطلاق للعمل الإنساني ، بل يرد الأمر كله إلى إرادة الله .

لقد كان اليهود ينكرون على الله أنه يضم إلى حظيرة الخلاص "الأمميين" وهم الذين لم يكونوا في نظرهم من شعب الله . لقد كان هناك

ابن احتجاج من اليهود على الله وتنكر لتصرفاته ، وكأنما أراد اليهود أن يحدوا سلطان الله وملكته . إن هذا الموقف من اليهود يسلب من الله سلطانه المطلق ، وينكر عليه قدرته في أن يتصرف بموجب مشيئته وإرادته . لقد كان أساس المشكلة التي ناقشها بولس الرسول هنا هي " قدرة الله وهل هي مطلقة أم نسبية " . إن اليهود تكروا بهذه القدرة المطلقة لأنهم أنكروا على الله أن يضم الأمميين إلى شعب الله .

فيماذا كان يمكن أن يجيب الرسول على هذه الإعتراضات ؟ وهل كان من الممكن أن يتحدث الرسول عن الله في حد سلطانه ويحد قدرته ويفيد تصرفاته بالبشر ؟

هب أنك تزيد أن تتحدث عن الله وعن صفاتيه ، فهل يمكن أن تنسب إليه صفات نسبية غير مطلقة ؟ لا تقول : " إن الله قادر على كل شيء وأنه لا يوجد ما يحد الله في سلطانه وجبروته ؟ بلا شك ، إننا ننسب إلى الله صفات مطلقة ، وعلى هذا النحو تحدث الكتاب المقدس عن الله في مواضع أخرى من الكتاب المقدس مؤكداً سلطانه المطلق الذي لا يحد ، كما يبدو من الآيات التالية :

" وهو يغير الأوقات والأزمنة ، يعزل ملوكاً وينصب ملوكاً " (دا ٢ : ٢١) " هؤلاً يهدم قلاً بيضي ، يغلق على إنسان فلا يفتح " (أيوب ١٢ : ١٤) " وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم " (أع ١٧ : ٢٦) الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معيناً سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأى مشيئته " (أف ١ : ١١)

وهذا هو ما حديث مع الرسول بولس وهو يريد أن يدافع أمام اليهود عن صفات الله المطلقة التي لا تُقيّد ولا تُحدّ ، ولذلك تحدث عن الله الذي "يرحم من يرحم ، ويتراءف على من يتراءف" .

على أتنا إذا قلنا أن الله قادر على كل شيء فإننا لا نقصد من ذلك أن قدرته يمكن أن يشوبها أي ظلم أو أي شأبة . ذلك لأن قدرة الله المطلقة ترتبط أيضاً ببره المطلق وبعدلاته المطلقة وبقداسته المطلقة ، ولا يمكن أن تتناقض صفات الله بعضها مع بعض .

هذا هو ما قصد إليه الرسول بولس وهو يتحدث عن الله . فقد كان لابد للرسول إزاء افتراءات اليهود أن يؤكد لهم قدرة الله المطلقة التي لا تُحدّ ، فإذا شاء أن يرحم أو يقسّ ، فهو يفعل ذلك في حرية مطلقة غير محدودة بشيء . على أن عبارات الرسول لا يقصد منها أن الله لا يقيم وزناً للإنسان ولأعماله بل يقصد منها فقط أتنا عندما تتحدث عن الله فلا يمكن أن تنسب إليه إلا القدرة الكاملة والسلطان الكلّي . فإذا أضفتنا إلى هذه القدرة عدالة الله وصلاحه ، فإن معنى هذا أن الله بالرغم من قدرته المطلقة فهو يقيم علاقته مع البشر على أساس من العدالة والصلاح . فلا يمكن أن يغفل الله المجهود لو الجهاد الذي يصدر عن الإنسان ، ولا يمكن من ناحية أخرى أن يهب إنساناً لا يستحق بركاته ، بينما يمنع نعمه عن إنسان يستحقها ، وذلك فقط بداعع من ممارسة سلطانه المطلق .

قلنا فيما سبق : أن الله أحب يعقوب وأبغض عيسى . وأنه قسّى قلب فرعون . وهو فيما يقول الرسول بولس : يرحم من يرحم ويتراءف

على من يتراعن فابذن ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم .

وبعد هذه الكلمات التى نطق بها الرسول كان من الممكن أن يثور مثل هذا الإحتجاج : " فستقول لى لماذا يلوم بعد ، لأن من يقاوم مشيئته ؟ (رو ٩ : ١٩) " أى إذا كان الله يقسى من يريد فلماذا إذن يحاكم القساة ؟ لأنه من من البشر يستطيع أن يقاوم مشيئته . فإذا كان الله قد قسى قلب فرعون ، فلم يعد هناك من موجب للحكم عليه وإدانته لأن فرعون لا يستطيع أن يقاوم مشيئته الله .

أما بولس الرسول فيستذكر على الإنسان بوجه عام أن يحتاج على مشيئته الله " بل من أنت أية الإنسان الذى تجاوب الله ، أغلل الجبلاة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا ؟ (رو ٩ : ٢٠) " إن الرسول يؤكّد هنا أنه ليس من حق أي إنسان أن يقاوم مشيئته الله أو يحتاج على إرادته ، فإن الخلة لا تستطيع أن تقول لخالقها لماذا صنعتنى لهذا الأمر ولم تصنعني لأمر آخر . أو لماذا صنعتنى بهذه الصورة ولم تصنعني بصورة أخرى . أو كما يقول الرسول فى الرسالة الثانية إلى提摩ثؤس " ولكن فى بيت كبير ليس آية من ذهب وفضة فقط بل من خشب وخزف أيضاً وتلك للكرامة وهذه للهوان " (١ تى ٢ : ٢٠) .

ويشبه الرسول بولس سلطان الله على البشر بسلطان الخزاف على الطين " أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتله واحدة إبناء للكرامة وأخر للهوان " (رو ٩ : ٢١) .

ولكن هل يفهم من هذا التشبيه أن الرسول بولس يؤكّد فقط سلطان الله المطلق في علاقاته بالبشر دون أن يقيّم أى وزن للعمل الإنساني؟ بلا شكّ كما للخزاف سلطان ليصنع من كتلة واحدة أواني بعضها للاستعمال الكريم والأخرى لغير ذلك ، هكذا فإن الله يستطيع أن يختار بعض البشر للنعمان الأبدي وبعضهم للهلاك الأبدي . ولكن هل يؤخذ من هذا التشبيه أن هذا الإختيار لا يبني على استحقاقات البشر ، ويتم فقط وفق مشيئة إلهية لا تلتزم بأى مقاييس في تصرفاتها ؟

الواقع أن مثل الخزاف لا ينتهي بنا إلى مثل هذه النتيجة التي فيها تتكرّر تام لعمل الإنسان وحرি�ته ، وذلك لأنّ الخزاف وإن كان ذا سلطان مطلق لأنّه يصنع من الطين ما يشاء من أوان للكرامة وأخرى للهوان ، فمما لا شكّ فيه أنّ الخزاف يتصرف وفقاً لنوع الطين ، فيختار الأفضل ليصنع منه أوان للكرامة . أى أن سلطان الخزاف المطلق لا يغفل نوع الطين ، أو بمعنى آخر فإنّ نوع الطين هو الذي يحدد للخزاف أنّه يصنع أوان للكرامة أو أوان للهوان . وعلى هذا النحو إذا تحدثنا عن الله في تصرفاته مع البشر ، فإننا نرى أن " الكتلة " هنا تشير إلى البشر ليس كما خلقهم الله ، بل كما وجدهم . أى أن الله لم يخلق منذ البداية إنساناً يجعل مصيره الهلاك ، وأخر يجعل مصيره النعمان الأبدي . بل أن الله بحسب تصرفات البشر ومسلکهم يحدد لهم مصيرهم ، فإنّ كان الله قد صنع من كتلة واحدة أوان للكرامة وأخرى للهوان ، فإن الإختيار بين الكرامة والهوان يرد إلى الإنسان الذي جعل نفسه إما آنية للكرامة ، وإما آنية للهوان . فإن الله لا يجعل إنساناً يسلك بكرامة " آنية للهوان " ولا يجعل إنساناً يسلك بهوان " إباء للكرامة "

فالأمر إذن فيما يتصل بمصير الإنسان يرد إلى الإنسان نفسه :

كيف شاء هذا الإنسان لنفسه أن يكون . إن اختيار الله يرد إلى نوع الإناء الذي اختاره الإنسان لنفسه ، هل اختيار أن يكون إماء للكرامة أو أن يكون إماء للهوان . إن الله كما يشير الكتاب ذو إرادة خيرة ، وهذه الإرادة الخيرة تزيد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون . ومعنى ذلك أن الله يريد أن يكون الجميع أبناء للكرامة ، لأن هذا فقط هو ما يتفق مع إرادته الخيرة . فإذا صنع الله أبناء للهوان ، فلا يكون هذا صادراً عن إرادته بل وفقاً لحالة الإنسان الذي يكون وضعه كالطين الذي لا يصلح لأن يُصنع منه شيء إلا أبناء للهوان . فالله إذن يتصرف مع البشر محترماً ومقدراً إرادتهم وحربيتهم ، ونحن بإرادتنا وحربيتنا نشتراك لأن يُصنعنا الله أبناء للكرامة ، وبإرادتنا وحربيتنا أيضاً نقاوم مشيّته فلا يصلح إلا أن تكون آنية للهوان . فالإنسان بحربيته واختياره يحدد ما يمكن أن يكون عليه .

وهذا العامل الإنساني أو الحرية الإنسانية في تحديد مصير الإنسان يؤكدتها الرسول بولس في قوله : " فإن طهر أحد نفسه من هذه يكون إماء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح " (٢١ : ٢) .

إن سلطان الخراف يتضح في أنه قادر على أن يشكل الطين كما يشاء . فالطين بيده طائع صاغر ، وهكذا أيضاً سلطان الله على البشر يفعل بهم كما يشاء ، وليس عليهم إلا أن يطيعوا صاغرين دون احتجاج . ولكن لا ننسى في كلتا الحالتين سواء بالنسبة للخraf أو

بالنسبة لله ، لا يشار هنا إلى السلطان الأعمى غير البصير لأننا عندما نتحدث عن سلطان الله يجب ، كما ذكرنا سابقاً أن نقيم وزناً لصفات الله الأخرى من صلاح وبر وعدالة ، وهكذا الأمر بالنسبة للخزاف فهو لا يختار النوع الجيد من الطين لصناعة أوان للهوان أو بالعكس .

ويواصل الرسول حديثه فيقول " فمَاذَا إِنْ كَانَ اللَّهُ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضْبَهُ وَيَبْيَنَ قُوَّتَهُ ، إِحْتَمَلَ بِأَنَّاهُ كَثِيرٌ آتِيهُ غَضْبٌ مُهِمَّةٌ لِلْهَلاَكِ " (رو ٩ : ٢٢) .

وهذا يعني أن الله وهو يشاء أن يظهر غضبه ويبين قوته ، إحتمل في صير وأناه هذه الآية التي تستحق غضبه والتي هيأت نفسها بنفسها للهلاك . وهنا نلاحظ أن الله لم يصنع هذه الآية المهيأة للهلاك بل احتملها ، ولو كان هو قد صنعها لما كان عليه أن يظهر غضبه نحوها . فلئن إذن هو المبرر لكي نرى في تصرفات الله أى ظلم أو تعسف ؟ إن عباره " يُظْهِرَ غَضْبَهُ " يمكن أن تشير بصفة خاصة إلى موقف فرعون ، وعلى العموم تشير إلى موقف الله من الذين يعصونه ويخالفونه . فهو لا يكتونون مجالاً لإظهار غضب الله مثل سدوم وعموره . ومن كل هذا يتضح أن الله يتصرف بعدلة ومحبة نحو البشر ، وليس من حق الإنسان أن يحتاج على صنع الله ، لأن الله لا يظلم أحداً ولا يتغافل بأحد ولا يغضب على من لا يستحق الغضب ، ولا يرحم من لا يستحق الرحمة لمجرد ممارسة سلطانه المطلق .

وإذا كانت " آتِيهُ الغضب " مجالاً لإظهار غضب الله فإن " آتِيهُ الرحمة " مجالاً لإظهار غنى مجده كما يقول الرسول " ولكن يبين غنى

مجده على آنية رحمة قد سبق فاعدها لل Mage (رو ٩ : ٢٣) . فـ الله
إذن من أجل أن يُظهر مجده لغى ، ومن أجل أن يُظهر رحمته نحو
البشر الذين يستحقون هذه الرحمة قد سبق بحسب علمه السابق وأعد هذه
الآنية لتكون آنية رحمة لا آنية غضب . (انظر كو ١ : ٢٧ ، في ٤ :
١٩ ، اع ٩ : ١٥) .

أما آنية الرحمة التي يشير إليها الرسول في هذا المجال فيقصد بها
" نحن المؤمنين " الذين لم نكن من اليهود فقط بل أيضاً من الأمم (رو
٩ : ٢٤) أى أن رحمة الله لم تقتصر فقط على شعبه بل شملت أيضاً
الأمم ، كما يقول في هوشع أيضاً : " سأدعوا الذي ليس شعبي شعبي ،
والتي ليست محبوبة محبوبة ، ويحدث أنه في المكان الذي كان يتبعه فيه
الأمميون للأوثان وحيث قد قيل لهم أنكم لستم شعبي ، هناك سيدعون
أبناء الله الحي " (رو ٩ : ٢٥ ، ٢٦) .

ويشير بولس الرسول إلى البقية التي سوف تخلص من شعب الله
وإشعيا يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل
البحر فالحقيقة ستخلص " (رو ٩ : ٢٧) .

ويتحدث الرسول عن حكم الله الذي قضى به سابقاً والذى يقوم على
العدل وهو حكم لابد أن يتم نفاذـه ويتحقق على الأرض " لأنـه مـتم أمر
وـقاض بالـبر ، لأنـ الـرب يـصنـع أمـراً مـقـضـياً بـه عـلـى الـأـرـض " أـى أـنـ
الـرب سـيـتـمـ كـلامـه فـي الـأـرـض إـتـاماً كـامـلاً سـريـعاً . وـهـذا مـا سـيـقـ وـأـنـا
بـه إـشـعـيـاء النـبـى فـقـالـ " لـوـلا أـنـ رـبـ الجـنـود أـبـقـى لـنـا نـسـلاً لـصـرـنـا مـثـلـ

سادوم وشابها عمورة " (رو ٩ : ٢٩ ، وأنظر أيضاً إش ١ : ٩) .
فإشعيا هنا يشير إلى البقية التي سوف تخلص من شعب الله .

ثم يميز الرسول بين المصير الذي انتهى إليه الأميين ، أما بالنسبة للأميين فقد قال الرسول : " إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر . البر الذي بالإيمان "

وأما بالنسبة لليهود فقال الرسول : " ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر " (رو ٩ : ٣٠ ، ٣١) . معنى كل هذا - وهو وبالتالي النتيجة لما سبق وقلله الرسول حتى الآن - أن مواعيد الله لم تفقد قوتها ، وأن كلمات الله صادقة وليس فيها كذب ، فإن الشعب الوثني الذي لم يكن يسعى في أثر البر حصل على التبرير بواسطة الإيمان ، وهكذا تحفقت وصدقت مواعيد الله . أما إسرائيل وهو يسعى في أثر البر لم يدركه " لأنّه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس (رو ٩ : ٣٢) فإنهما اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب " ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يُخزى " (رو ٩ : ٣٣ ، قابل مع إش ٨ : ١٤ ، رو ٢ : ٣٤) .

إن الإسرائييليين الذين كان لهم الناموس ، والذين كانوا يهدرون لأن يتبرروا أو يحصلوا على البر بواسطة المحافظة على وصايا الناموس ، هؤلاء لم يفلحوا في الحصول على الوسيلة أو الكيفية التي تقودهم إلى التبرير . ولكن لماذا ؟ لأن اليهود قد هدروا ليحصلوا على هذا التبرير ليس بالإيمان بل بواسطة أعمال الناموس ، كما لو كان من الممكن أن

يتبرر الإنسان بواسطة المحافظة على الناموس الموسى . وهكذا بسبب عدم إيمانهم بال المسيح إصطدموا بالحجر وتعثروا فيه فهم كالعبيان الذين بسبب عدم إيمانهم لم يدركوا جوهر رسالة المسيح . فاليسوع هو حجر صدمة أو سمي هكذا بالنسبة لهؤلاء الذين لا يجعلون أساس خلاصهم مبنياً على الإيمان باليسوع بل على العكس يرفضون المسيح فيخطئون ويترعرضون للجزاء .

إن المسيح قد صار بالنسبة لهم حجر صدمة وصخرة عثرة وفقاً لما قاله النبي إشعيا " لذلك هكذا يقول السيد الرب ها أنذا أؤسس في صهيون حجراً حجر امتحان . حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً من آمن لا يهرب " (إش ٢٨ : ١٦) . فالذين لا يؤمنون باليسوع سوف يسقطون ويُسحقهم الحجر . أما المؤمنون فانهم لا يفشلون ولا يحزنون بل يتحقق لهم الخلاص بواسطة المسيح .

ومن المهم هنا أن نلاحظ أن الخلاص الذي تحدث عنه الرسول بالنسبة للبقية التي تخلص من شعب الله يتحقق بالإيمان وليس بآيات وسائل أخرى . الإيمان هو الوسيلة الوحيدة لهذه البقية كي تخلص . فعلامة خلاصها ، وسبيل تحقيقه هو الإيمان . وبذلك لا ترتبط فكرة الخلاص بالنسبة لليهود - بإقامة دولة خاصة لهم أو إعادة بناء الهيكل أو غير ذلك من المفاهيم المادية التي لا تتفق والمفهوم الروحي لمملكته الله . إن الخلاص في العهد الجديد له مفهوم روحي ويشير على الأخص إلى حياة التبرير والإيمان باليسوع يسوع . (انظر كتابنا : اليهود واليهودية في

تعاليم بولس الرسول " المكتب المسكونى للإعلام فى الشرق الأوسط " -
١٩٧٤ ص ٢٤ - ٣٢ .

الاختيار لا يعني المصير المحتوم :

إن الاختيار إذن ليس معناه أن الله حدد للبشر منذ الأزل مصيرهم فعین البعض للنعم الأبدى والبعض للهلاك الأبدى ، وإنما كان معنى ذلك أن الله قضى على الحرية البشرية ، وأن كل ما يفعله الإنسان هو مجرد أنه يكتشف حياته التي سبق وصاغتها الإرادة الإلهية بطريقة جبرية لا دخل للإنسان في تحديدها . إن علم الله السابق بأن فلاناً سيكون خيراً وأن فلاناً سيكون شريراً . هذا العلم السابق ليس هو الذي يحدد للأول طريق الخير وللثانية طريق الشر . إذا كان الله يعلم سابقاً بأن آدم سوف يخطئ أو أن يهودا سوف يسلم المسيح فليس معنى ذلك أن الله شاء لآدم أن يخطئ أو شاء ليهودا أن يسلم المسيح ، ولو كان الأمر هكذا فإن آدم لا يكون مسؤولاً عن خطئه ، وكذلك لا يكون يهوداً مسؤولاً عن تسليمه للمسيح ، فكلاهما يفعل ما شاء الله لهما وما حدده لمصيرهما . ولكن يكون لأحدهما مسؤولية عن تصرفه ، وبالتالي لن يكون مستحفاً للعقاب وإنما كان الله يعامل البشر بالظلم . وأحياناً كثيرة يثير البعض هذا التساؤل : إذا كان الله يعلم سابقاً أن آدم سوف يخطئ فلماذا لم يمنعه من خطئه ؟

ومرة أخرى نقول : إن علم الله السابق لا يتدخل على الإطلاق في تحديد مصير هذا أو ذاك من البشر ، ولعل كلمة " السابق " هي التي توحى بأن الإنسان ليس عليه إلا أن ينفذ ما سبق وقد إختاره الله له ،

وأن هذا الإختيار في الماضي البعيد هو الذي يقود الحاضر ويتحكم في المستقبل ، لأن الماضي قد سبق وحدد للحاضر ، وكذلك حدد للمستقبل ما يجب أن يكون عليه كل منهما.

إذا قلنا أن الله يعلم سابقاً أن آدم سوف يخطئ ، فإن هذه المعرفة لم تبطل حرية آدم في أن يتصرف كما يشاء وحسب الطريق الذي يختاره . إننا يجب أن نتفهم مدلول الزمان بالنسبة للإنسان نحو مخالف لما نفهمه عن مدلول الزمان بالنسبة للإنسان . بالنسبة للإنسان الزمان ينقسم إلى ماض وحاضر ومستقبل . ولكن ليس هكذا الأمر بالنسبة لله . عندما يولد الإنسان لا يكون هو أول الكائنات على وجه البسيطة فهناك كثيرون قد ولدوا قبل أن يولد . أى أن هناك زمناً يسبق يوم ميلاده ، ومن أجل ذلك فقد تعلم أن هناك ماض وجد قبل أن يوجد ، ثم يعيش الإنسان في زمان الحاضر فيتعلم معنى الحاضر . ثم ينتظر الإنسان حدوث أمور لم تحدث بعد وسوف تحدث فيما بعد فيتعلم معنى المستقبل . ولذلك فليس غريباً أن يجهل الإنسان الأحداث التي لم تقع بعد ولم تتم والتي يمكن أن تقع في المستقبل . أما بالنسبة لله فالأمر يختلف تماماً فلم يكن هناك زمن ماض يسبق الله في وجوده حتى يقال أن هناك ماض لله ، وليس هناك أيضاً ما يمكن أن يجهله الله من أحداث في هذا الكون سواء وقعت أو لم تقع بعد ، حتى يقال أن الله له مستقبل ، وإلا لكان يعني ذلك أن معرفة الله ليست كاملة وأن ثمة أحداثاً جديدة كان يجهلها الله سوف يكتسب معرفتها . فهذا لا يتفق مع علم الله الكامل الذي يطوى الماضي والحاضر والمستقبل بكل ما يقع من أحداث . إن ما هو جديد بالنسبة لنا نحن البشر ليس جديداً بالنسبة لله بل هو حاضر أمام الله يراه رؤية

العين . فلا يوجد بالنسبة لله إلا الحاضر الدائم . أى أن كل شيء يحدث في العالم أو حدث في الماضي أو سوف يحدث فيما بعد هو بالنسبة لله مائل أمامه في حاضره الدائم . فإذا كان الله يعرف ما يكون عليه مستقبل آدم فإن هذا لا يعني أكثر من أن الله يرى ما يفعله آدم ، وبموجب هذه الرؤية التي هي بالنسبة لله حاضرة مائلة في زمن حاضر حتى بالنسبة للأحداث التي لم تقع بعد بالنسبة للإنسان - يكشف الله عن مسلك آدم ومصيره .

دعنا نبسط الأمر أكثر :

طالب راسب في امتحان آخر العام . الله يعلم سابقاً أن هذا الطالب سوف يرسب . بالنسبة لنا نجهل هذا الأمر لأنه لم يحدث بعد وهو يقع في مجال النبوة بأمر مستقبلة . أما بالنسبة لله الذي تمر أحداث المستقبل أمام بصره في زمن الحاضر الدائم فهو يرى الطالب وقد تقدم لتأدية إمتحانه ، ثم يرى أوراقه وقد صحيحت ، ثم يرى الدرجات التي حصل عليها ، ويرى أخيراً النتيجة النهائية لامتحاناته . ثم يرى بيان النتيجة وقد علق على الحافظ وكتب أمام إسم الطالب كلمة راسب ، فإذا كشف الله بموجب علمه السابق عن نتيجة هذا الطالب وأنه راسب ، فعلى الرغم من أن الطالب لم يكن بعد - بالنسبة لنا - قد تقدم لأداء الإمتحان فإنه بالنسبة لله يكون كل شيء حاضراً أمامه فيعلن لنا - مسبقاً - نتيجة هذا الطالب . والأمر واضح هنا أن علم الله السابق برسوب هذا الطالب لم يتدخل مطلقاً في تحديد مصير هذا الطالب . إن الطالب يجني

ثمرات إستحقاقه وإهماله ، وأما بالنسبة لله فقد كان الله يشاء له أن ينجح وأن يتفوق لأن مشيئة الله هي دائمًا خير .

ولنضرب مثلاً آخر :

الله يعرف مسبقاً أن يهودا سوف يسلم المسيح . الله يرى يهودا وقد اختاره المسيح رسولاً من الرسل الإثنى عشر ، وعلى الرغم من أن هذا الأمر لم يكن قد تم بعد بالنسبة لنا نحن البشر لأن يهودا لم يكن قد ولد بعد . لكن بالنسبة لله قد ولد يهودا وقد اختاره المسيح بين من اختارهم من تلاميذه . رأى الله كيف كان يهودا يخون سيده ويتأمر مع اليهود لقتله ، واتفق معهم على تسليم المسيح للموت ، ورأى أيضاً يهودا وقد أصابه اليأس وأقيم على قتل نفسه .

وبموجب هذه الرواية لسيرة حياته يكشف الله عن مصير يهودا ويعلنه على فم أنبيائه ، فيكون الأمر بالنسبة لنا نبوة تتصل بأحداث مستقبلة ، وأما بالنسبة لله فيكون الأمر كشفاً ورؤيا تتصل بالزمن الحاضر الدائم لله . مما نقرؤه في العهد القديم عن يهودا كنبوة أعلنها الله على فم أنبيائه لا يكون هكذا بالنسبة لله ، فإن الله يعلن أمراً يراه أمام عينيه ويقع تحت بصره . وعلى ذلك فإن ما سيق وقد تتبأ به الأنبياء عن يهودا معيناً لهم من قبل الله ، لم يكن هو الذي دفع يهودا لأن يتصرف بهذا التصرف ويسلك هذا المسلط ويكون يهودا مسؤولاً مسئولة كاملة عن تصرفه .

وهكذا يمكننا أن نقول :

الله يعرف مسبقاً أن يهودا الإسخريوطى سيسلم المسيح ويعرف أن يعقوب سيتصرف تصرفاً صالحاً ، ولكن هذه المعرفة ليست هي السبب الذي دفع يهودا لأن يسلم المسيح ، ولا هي التي دفعت يعقوب لأن يكون إنساناً صالحاً . نحن نسميها معرفة قلبية سابقة لأنها تسبق حدوث الواقعة . فهي بالنسبة لنا معارف متقدمة سابقة ، ولكن ليس الأمر هكذا بالنسبة لله . بالنسبة لنا يوجد حاضر ومستقبل وماض فنحن نقول أن هذا الفعل وقع في الماضي أو واقع الآن أو لم يقع بعد وإنما سيقع في المستقبل .

نحن نحدد الحوادث تحديداً زمنياً لأننا نعيش في زمن ، أما بالنسبة لله فليس هناك تحديد زمني لأنه هو خارج عن الزمن . فما هو مستقبل بالنسبة لنا هو حاضر بالنسبة له ، وما سوف يحدث بعد مئات وألوف السنين بالنسبة لنا هو حادث الآن بالنسبة لله أو كما لو كان واقعاً . وعلى ذلك فإن معرفة الله للأمور المستقبلية هي عبارة عن رؤية الله لهذه كما لو أنها واقعة وحادثة في الوقت الحاضر . فكما تتكلم أنت عن شيء تراه الآن بيصرك أو تسمعه الآن بأذنك أو تلمسه الآن بيديك ، هكذا يتكلم الله عن الأمور المستقبلية فهي تقع الآن تحت بصره أو سمعه أو لمسه .

من كل هذا نخلص إلى القول بأنه لا يقصد بمعرفة الله السابقة أن الله حدد لأن يكون هذا الإنسان خيراً أو شريراً ، باراً أو أثيناً . إن الله لا يخلق بعض البشر للنعم الأبدى وبعضهم للهلاك الأبدى . إنما الله يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون . ليس الله هو الذي يحدد وضعنا من حيث النعيم الأبدى أو الهلاك الأبدى ، وإنما نحن

أنفسنا الذين نحدد بأيدينا وإرادتنا و اختيارنا و مشيئتنا حالتنا التي سنكون عليها في المستقبل . فإذا كان الله يعرف سابقاً أن هذا الإنسان سيكون صالحاً فليس معنى ذلك أن الله فرض على هذا الإنسان أن يكون صالحاً ، بل معناه أن الله رأى صلاح هذا الإنسان و تقواه فحكم أنه صالح ، حتى وإن كان هذا الإنسان لم يولد بعد ، لأنه كما قلنا إن ما لم يولد بعد بالنسبة لنا فهو موجود و حاضر بالنسبة لله . وكما يحدث بالنسبة للظواهر الطبيعية الفلكية أن علماء الفلك يتمكنون من معرفة ما سوف يقع بالنسبة للظواهر ظاهرة كسوف الشمس و خسوف القمر ، يعرفون هذا قبل وقوع الظاهرة بمدة طويلة ، وذلك بناء على عمليات حسابية علمية ، هكذا الأمر أيضاً بالنسبة لله فإنه يعرف قبل أن يولد الإنسان ما سوف يكون عليه هذا الإنسان مع الفارق بين معرفة الله و معرفة عالم الفلك من حيث طبيعة المعرفة .

وكما أن معرفة علماء الفلك للظواهر الطبيعية ليست هي علة حدوث هذه الظواهر فهكذا الأمر بالنسبة لله فإن معرفة الله بالنسبة لما سوف تكون عليه حياة الإنسان المستقبلة ليست هي السبب في الكيفية التي سيكون عليها الإنسان إن كان خيراً أو شراً . يجب إذن أن نفرق بين علم الله وبين إرادة الله . فما يعلمه الله ليس بالضرورة ما يريده .

و جملة القول : إن الله لا يتعامل مع البشر بقوة طاغية متوجبة فيحدد مصيرهم كما يشاء ، بل يحترم الحرية البشرية ، ويتم اختياره للبشر ورفضهم وفق تصرفاتهم وحسب مسلكهم . وإليك بعض الآيات التي تؤكد الحرية البشرية واحترام الله لها :

(مت ٢٣ : ٣٧ ، يع ١ : ١٣ ، ١٤ ، إيش ٦٥ : ١ ، ١٢ : ٦٥)
مت ١٩ : ١٦ ، يو ٥ : ٤٠ ، يش ٢٤ : ١٥ ، تك ٤ : ٥ ، تث
٣٠ : ١٥ ، ١١ : ٢٦ ، حز ٣٣ : ١١ - ٢٠ ، أر ١٨ : ٧) .

إن التعبين الإلهي الذي علم به الرسول ليس هو بالمطلق ولا يعادل ما يعرف بالقضاء والقدر في الروح اليونانية . كان معنى القدر والخوف من المقدور متأصلين بعمق في الروح اليونانية . من القرن الرابع وصاعدا يصادف المرء بكثرة قوى القدر والحظ والطالع والجبرية . في الناموس الثابت للسببية التي كشفتها الروح اليونانية الفلسفية يخضع لها الآلهة أنفسهم . في نطاقها لا يسود شعور ولا منطق ولذلك حتى عند الشعراء الكبار يسيطر التأمل البائس في الحياة وكأنه دافع محبوب عندهم . في الإحاطة الأزلية بالأمور في مسرى التأريخ يومنون - وعلى الأخص بوليفيوس (٢١٠ - ١٢٥ ق . م) أن ناموس الحتمية هو السادس لذلك شخصوا الزمن وكأنه أحد آلهة القدر - الأيون - أى الأبد ، وأظهروه كائناً غريباً يصر بأسنانه . ويظهر - فيما يقول جوزيف هولزنز - أن بولس بقوله " أركان هذا العالم " (كو ٨ : ٢) المع إلى الآلهة الفلكية وآلهة القدر والنصيب ، ولعلها كانت في فكره عند وصفه بالمعركة الحاسمة ضد " رئيس القوات الشريرة في الفضاء " (أف ٢ : ٢ ، ٦ : ١٢) .

قبل العصر المسيحي ظهر " مخلصون " عديدون أرادوا أن يخلصوا العالم من تحكم القدر فعدوا أيسينا أنها " مروضة الضرورة " وعدوا سيرابيس (إله مصرى يوناني) أنه " مخلص الفقراء " . تحت هذا

الضوء تأخذ دعوة يسوع " تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والرازحين تحت أ نقلكم " مت ١١ : ٢٨) معناً جديداً^(١).

لقد سبق وتناولنا هذا الموضوع بشئ من التفصيل في كتاب لنا بعنوان "تعيین الله السائق في تعالیم بولس الرسول " ومما قلناه في هذا الشأن :

إن دعوة إسحاق ويعقوب بحسب الاختيار ورفض أخيهما ليس له آية صلة بالتعيین الشخصى السابق لخلاصهما الكامل أو النهائي وهلاك أخيهما الأبدى بل باعتبار وضعهما بالنسبة لشعب إسرائيل المختار من قبل الله . وموسى قد طلب نعمة من الله ، ولكن هذا لم يكن له آية علاقة بخلاصه الشخصى (خر ٣٣ : ١٩ ، رو ٩ : ١٥) ثم أن الرسول لم يشر إلى أن قساوة فرعون و موقفه المعاند من الله قد حدد مصيره النهائي ، لأن الرسول يتحدث فقط عن واقعة معينة أى عن رفض فرعون فى أن يترك إسرائيل حرأ دون أن يهتم بحياة فرعون بعد هذا الرفض . كذلك فإن عبارات الرسول القوية عن البعض بأنهم " آنية غضب مهيبة للهلاك " وعن البعض الآخر بأنهم " آنية رحمة " يصف بها الرسول حالة الناس في الوقت الذي يتكلم عنهم فيه ولكنه لم يشر إذا كانوا يظلون هكذا على الدوام إلى النهاية " آنية رحمة و آنية غضب " . كذلك لم يجرد الرسول أحداً من تحمل المسئولية عن حالته الحاضرة . إن الأصلاح الحادى عشر من رسالة رومية يناقض بأكمله تعاليم القائلين بالتعيین

^(١) - جوزيف هولزنز : بولس الرسول - ترجمة البطريرك إلياس الرابع - طبعة ثانية - معهد القديس يوحنا الدمشقي - البلمند - لبنان ١٩٨٥ ص ٤٨٢ .

المطلق للخلاص أو الهاك النهائي ، إذ يشير الرسول أنه إذا كان اليهود قد رفضوا بسبب عدم إيمانهم فإن المؤمنين من الأميين يحظون ببعضوية الكنيسة إذا ثبتوا على إيمانهم " حسناً من أجل عدم الإيمان قطعت وأنت بالإيمان ثبت . لا تستكبر بل خف لأنه إن كان الله لم يشفع على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفع عليك أيضاً . فهوذا لطف الله وصرامته ، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا وأما اللطف فلما إن ثبت في اللطف وإلا فأنت أيضاً ستقطع " (رو 11 : 20 - 23) .

إن التعليم بالتعيين المطلق يلغى قيمة التاريخ الإنساني وتاريخ الأفراد لأن معنى ذلك أنه بالجهود الإنسانية لا يحدث شيء إنما كل شيء يسير حسب الطريق المرسوم سابقاً ، وكذلك فإن عمل المسيح الخلاصي وجميع الوسائل التي نحصل بواسطتها على الخلاص ستصبح عديمة الفائدة أو الجدوى طالما أن الأمور سوف تظل ثابتة لا تتغير كما سبق ورسمت منذ تأسيس العالم بإرادة الله كلى القدرة . فإذا كانت الأمور تسير على هذا النحو من التعيين المطلق السابق فلم يعد ثمة مجال للتحدث عن الله الحي الذى يعمل على الدوام فى حياة الأفراد وفي تاريخ الإنسانية . إن التعليم بالتعيين المطلق سيقود إلى هذه النتائج غير المعقوله . على أن المسئولية لا تقع على الرسول بولس إذا أساء البعض فهم تعاليمه ^(١) .

^(١) - انظر كتابنا " تعين الله السابق " المركز المصرى للطباعة ١٩٩٣ ص ٩١ - ١٠٧

من إصدارات دار أنطون

- (١) لنيافة الأنبا بيشوى
- شرح الإيمان الأرثوذكسي
- (٢) لنيافة الأنبا هدرا
- خطورة اللسان
- (٣) لنيافة الأنبا إشعيا
- الكتاب المقدس ومكانته
- (٤) لنيافة الأنبا مارتيروس
- التسبيح الكنسى فى العصر المسيحى الأول
- (٥) للمنجى القمص بنىامين المحرقى
- رسالة القدس .. خدمة النفوس
- (٦) للقمحص بطرس بطرس بسطوروس
- يا ابنى اعطنى قلبك
- طوباهم الذين بلا عب
- الخلاص
- أكرم أيام وأمك
- قوموا يا بني النور
- الوحي الإلهى
- سمر خوفك فى لحمى
- كيف تستقبل وليد المذود ؟
- (٧) للراهب أكسيموس الأنبا بيشوى
- الشباب وهدف الوجود
- (٨) للدكتور موريس تاوضروس
- الفكر اللاهوتى عند بولس الرسول
- الإيمان فى رسائل بولس الرسول
- تعين الله السابق فى تعاليم الرسول بولس
- اليهود والميهودية فى تعاليم الرسول بولس
- تفسير الرسالة إلى العبرانيين

- تفسير الرسالة إلى أهل كورنثوس ١ و ٢
- تفسير الرسالة إلى أفسس - تفسير رسالة يعقوب
- تفسير رسالة بطرس الرسول الأولى - تفسير رسالة يعقوب
- العدالة والمحبة في كتاب العهد الجديد - الديانة المسيحية
- المجنون الثاني والدينونة - المسيحية والجنس
- مفهوم التبرير بين الكنيسة الأرثوذكسيّة والكنيسة الإنجيلية - المسيح وال المسيحية في سفر إشعيا
- الإلخارستيا في فكر القديس كيرلس الإسكندرى - مفهوم الزمان والأبدية
- القديس أغناطيوس «حامِل الإله» حياته وتعاليمه - الإنجيل في حياتنا اليومية
- أمثال السيد المسيح ج ١ - دراسات لاهوتية ولغوية في العهد الجديد
- براهين الكتاب المقدس على صحة التعاليم الأرثوذكسيّة

(٩) للشاعر : عادل المطوسى

معجزات العذراء مع الأمراء والملوك والخلفاء
 وطن يعيش فيينا
 البابا شنودة شاعرا
 روانع البابا شنودة الشعرية
 القول الصحيح في دوام بتولية أم المسيح
بالإضافة إلى إصدارات الدار .. للكبار والصغار
 عبر مجموعة متنوعة وشيقية من كتب
 الأطفال التي تناسب كل المراحل العمرية ..
 وتجمع بين المتعة والتسلية « والفائدة الروحية »
 والعقيدة الأرثوذكسيّة .
 وترقيوا دائمًا حديثنا في مختلف الأشكال الإعلامية ..

هذا الكتاب

مثلاً تختلف الآراء حول مشكلة الاختيار، وهل
الإنسان مخير أم مسيير؟ تختلف المقارنات والمدليل
حسبما يحدث في كل إشكاليات المصير الإنساني !!

وفي هذا الكتاب الفريد يعرض الدكتور المؤقر
موريس تاوضروس إلى هذه المشكلة بين العقيدة
الأرثوذكسيّة والعقائد الأخرى إنسانياً ولاهوتيّاً
وعقديّاً بخبرة عميقة ووعي إنساني وارث حضاري
يتفرد به المؤلف الكريم الذي تعتبر مؤلفاته معملاً
للموارد في موضوعها مما يجعله - رغم ابتعاده الأثير -
في طليعة الوراقين والكتاب المعاصرين .
إنه كتاب متميز ولا غنى عنه يحق للجميع
فاحرصوا على إقتناصه .

الناشر